محاضرات النقد الفني

المستوى: السنة أولى ماستر فنون تشكيلية

تعريف النقد الفني

تعود كلمة (نقد) الى اصول اغريقية، وقد كانت تستخدم سابقا في ثلاثة مجالات مختلفة في مجال القضاء (الحكم على الشيء) النقد في مجال الطب، عندما تم اعتمادها كمؤشر على اللحظة الحرجة التي يمر بها المريض، اي لحظة التحول المرضي (critical). وأخيرا بقصد دراسة النصوص الادبية. بذلك فقد جاءتنا هذه الكلمة عبر ثلاث حقول علمية ولها معنى محدد في كل منها: (قانوني_ طبي_ لغوي). والى عصر النهضة الاوربي بقي استخدام كلمة (نقد) ضمن حقل الطب واللغة.

وظائف النقد

النقد التفسيري:

في هذه الوظيفة النقدية، يكون على الناقد شرح العمل وتفسيره للمتلقي الذي يترجم وهذه الوظيفة تتطلب من الناقد ان يكون مُلما بحقل الفن التشكيلي، ويملك معرفة وادراك لما يحتويه العمل الفني من تفاصيل يصعب على المتلقي البسيط فهمها فيكون للنقد والناقد حضور واضح فيما يتعلق بهذه الفنون. عندها ستتضح مهمة الناقد التفسيري، وهي "صنع جسور بين المجتمع والفنون" حتى يكون لدينا اهتمام وتقبل لتلك الفنون.

النقد التقديري:

العملية هنا تتعدى مسألة التفسير، لتصبح مهمة تقييم ووزن ما يحمله العمل من ابداع وابتكار ومغايرة لكن النقد التقديري يحاول ان يُبين بان الجانب الجمالي الاوضح في عمل فني ما، قادم عبر تفصيل في الشكل او المضمون، باعتبار درجة المخالفة والابتكار التي يحوز عليها، مقابل تضاؤل الارسال الجمالي في جانب اخر، عندما يكون متآلفا او مكررا لعين المتلقي. لذلك يتجنب النقاد عادة الحكم الجمالي على عمل معين، سيما وان حكمهم في الغالب سيبقى مجرد رأي شخصي قابل للتشكيك او الاعتراض من قبل الاخرين.

النقد التقديري ،لا يأتي الا بمصاحبة النقد التفسيري، لكون التقدير هو ناتج عن التفسير، فمن غير الممكن ان نحكم على مستوى عمل فني، دون ان نُبين تفاصيله وما يملكه من علاقات واسس ومضمون. فيكون التقدير مرحلة لاحقة للتفسير، في حين ان النقد التفسيري لا يُشترط فيه مصاحبة النقد التقديري، اذ يمكن ان يكتفي الناقد بالتفسير فحسب. وهي الحالة الاكثر انتشارا بين النقاد من التقدير.

النقد الجمالي:

النقد هي عملية تحليل العمل الفني، ونقصد بذلك التحليل المعمق الذي يتعدى الوصف الظاهري للعمل ،والذي يقدر عليه اي فرد. بذلك يكون النقد ميدانا واسعا، لا يشتمل الفن التشكيلي فقط، وانما يمكن ان يعبر نحو علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم اخرى كثيرة. عند الاخذ بنظر الاعتبار ان النقد يستلزم المنهجية والاقناع في سبيل اثبات وجهة النظر للشخص الناقد.

ان مهمة النقد الجمالي هي ان يعرفنا اكثر بالمادة الفنية، ويجعلنا نعيد قراءة ما اغفلنا قراءته كليا او جزئيا، من ثم ستكون لدينا كمتلقين فرصة اكبر على الاستمتاع بما نشاهده ، وتكون لذلك فرصة الاستجابة الجمالية نفهم من ذلك ان مهمة النقد الجمالي لا تتعلق بوصف الاعمال الفنية من حيث انها جميلة او ممتعة او ما يشابه هذه الاوصاف، اذ ان ذلك من مهام استجابة المتلقي، وانما تكون مهمة النقد (الجمالي) هي في تعميق قدرتنا للتوصل الى احكام اكثر وضوحا ورسوخا نحو الفن التشكيلي

نظريات النقد

النظرية الموضوعية

ويرى اصحاب هذه النظرية ان جمال العمل الفني يكون فيه فقط، في علاقاته الشكلية وفي مضمونه، من دون اي مصاحبة خارجية، والتأثير الناجم منه في المشاهد، يكون مرجوعا للعمل الفني فحسب. فالعمل الفني هو الذي يحدد صفة كونه جميلا او لا. ويستند دعاة هذه النظرية الى كون العمل الفني الجميل يشدنا بتأثيره، حتى ولو كان في وسط مجموعة كبيرة من الاعمال الفنية. وذلك ما يدلل على ان جمال الفن يوجد في تفاصيله فقط. ويكون النقد وفق ذلك مركزا على هذه الفكرة، فما يقدمه الناقد يجب ان يتسم بكشف صفات العمل وما يمتلكه من مميزات. عندما يضع في حساباته ان هذا الكشف هو تقديم جمالي مرجعه العمل الفني.

النظرية الذاتية

يرى اصحاب هذه النظرية ان الجمال في عين الناظر، بمعنى ان تحديد ان كان العمل الفني جميلا ام لا، مسالة تعود الى المتلقي وقناعاته وذوقه. والحكم على العمل الفني يأتي من خلال تجربة المشاهد ليس الا. ويكون تقدير العمل الفني بناء على درجة استمتاعنا به. بالسلب او الايجاب. ومن ذلك نفهم ان قوة هذه النظرية تعود الى الاختلاف بين الناس، بحسب طبيعتهم ومرجعياتهم الثقافية والذوقية، وحتى مع قوة الحجة لأصحاب هذه النظرية، تبقى محل تشكيك، باعتبار ان اختلافنا في تقييم العمل الفني ناشئ عن اختلاف قراءتنا او فهمنا لما يقدمه من مادة جمالية، ومن ثم فالعمل الفني هو المسؤول الرئيس عن احكامنا، فضلا عن ان بعض الاعمال الفنية، بقيت محتفظة بقيمها وتقبلها على مدى قرون من الزمن، وذلك ما يعزز فكرة ان العمل الفني هو المسؤول عن احكامنا، وعيه لن يكون الحكم ذاتيا بدرجة مطلقة. ومن هنا تظهر النظرية الثالثة التي تحاول الجمع بين النظريتين معا بصيغة جديدة.

النسبية الموضوعية

هذه النظرية تمزج بين الذاتي والموضوعي في تقدير الاعمال الفنية. وفي هذه النظرية، نلاحظ انها تأخذ بالحجج والبراهين التي تعتمد عليها النظريتين السابقتين، وتوفق فيما بينهما. ومن هنا تكون هذه النظرية مسارا وسطيا يجمع بين الاثنين. وبذلك فهي تقدم تقديرا للفن اعلى من النظريتين وهما كلا على حدة، باعتبار انها تجمعهما معا. ومثال ذلك يعترف اصحاب هذه النظرية بان للعمل الفني مستوى جمالي ما، لكنه لا يمكن ان يتحقق الا بوجود متلقي قادر على تقديره والشعور به.

والنقد الجمالي مر بثلاث مراحل مهمة طوال تاريخه في تفسير وتقدير الاعمال الفنية، فهو ابتدأ اولا من (الفنان)، الذي يعتبر وجوده السبب الوحيد في وجود حقل الفن التشكيلي. وهو محور عملية التجربة الجمالية، فاهتم النقاد بتحديد ودراسة دور الفنان، وظهرت عدة اتجاهات نقدية تحاول الاحاطة به، مثل النقد النفسي والنقد الاجتماعي وغيرها من اتجاهات سبقت القرن العشرين.

علاقة النقد بالفنون :

النقد عملية تحليل منهجية قصد معرفة عناصر التأثير في العمل الفني بغية توضيحها وتسليط الضوء عليها للمتلقي. بذلك فانه لا يختص بفن التشكيل فقط فهو يمتلك سعة ليشمل انشطة وعلوم انسانية متعددة، كل انواع الفنون التي يقوم بها الانسان. ويكشف على ماذا تنطوي وماذا تملك من مميزات عامة. او من خصائص يحوز عليها كل عمل بصورة منفردة. غير ان النقد، واي كان المنهج المعتمد فيه، يجب ان يضع

الناقد في حساباته بان لكل فن ادواته وطرق انشاءه الخاصة، ولكل فن كيفيات في التعبير تختلف من توجه الى آخر.

وهنا يجب ان ننوه عن مسالة مهمة، وهي ان الفن التشكيلي (رسم، نحت، خزف وغيرها) لا تستلزم وجود وسيط يشرح ابتداءً المعنى الشكلي، بل تحتاج الى ناقد يكشف خصائصها ومميزاتها الجمالية بصورة مباشرة. فلكل حقل من الفنون تاريخ وفنانون واساليب وعناصر تشكل ذلك الحقل. والناقد قبل ان يطرح رأيا تجاه ما يريد من الاعمال الفنية، يتوجب عليه امتلاك خبرة في حقل التخصص، حتى يحوز رأيه على قدرة الاقناع.

.

اهمية النقد للفن والفنانين

النقد عملية تحليل وكشف لخصائص ومميزات الاعمال الفنية، ندرك بأن ذلك يعني كشفا لما لا يمكن للمتلقي البسيط ادراكه بسهولة باعتبار ان عديد الاعمال الفنية يمتلك مستوى من التعقيد، ما يجعلها صعبة الفهم وصعبة التقبلوعندما يقدم الناقد شرحا وتفسيرا عن الاعمال الفنية ويجعلها واضحة للمتلقي ليقرأها وتزداد فرصة التنبؤ لمواطن الجمال والاثارة فيها، فانه بذلك يجعل العمل الفني سهلا واضحا. فتتحول الاعمال الفنية من لغة مشفرة وصعبة القراءة، الى مفردات سهلة القراءة والفهم عند من يطلع على النقد والعمل الفني المُنتقد. وهنا تكن اشكالية النقد. اذ ان المتلقي المشارك او الفعال، وخصوصا في المعاصرة ، يبحث عن الاعمال التي تكون مبهمة، لأنها تملك قدرة اغراءه على قراءتها ومحاولة معرفة اسرارها والسبب في قيمتها الجمالية. ومتى ما قدم الناقد تحليلا صحيحا عما تملكه من تفاصيل غفل عنها المتلقي، قلت بذلك فرصة اثارة المشاهد لأنها اصبحت سهلة وواضحة. لذلك يقال بأن النقد (يقتل) النص، بمعنى انه يحيل العمل الفني من الغموض والاثارة الى البساطة والوضوح.

انواع النقد الفني حسب مناهجه

على دارس الفنون ومادة النقد التعرف على تلك المدارس والمناهج النقدية حتى يعرف كيف يتم تحليل الاعمال الفنية، وفق متطلبات واشتراطات تلك المناهج.

النقد بواسطة القواعد

يقدم هذا المنهج النقدي معايير محددة يضعها الناقد كشروط لقياس قدرات الفنان ومستوى الجمال في عمله الفني

ومن ابرز ما يجب ان يتصف به الناقد وفق هذا الاتجاه النقدي:

-معايير النقد يجب ان تكون ملائمة للعمل الفني.

-فهم وظائف اجزاء العمل الفني من ثم ادراك معنى العمل الفني ككل واحد.

-ان يكون الناقد مستعدا للتخلي عن المعايير السابقة عند وجود حركة تجديد او تغيير في الفن.

النقد السياقي

ويعتمد هذا الاتجاه النقدي على قراءة الظروف التاريخية التي تحيط بالعمل الفني، مثل الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والنفسي، والتي من خلالها يتولد وقد قدم النقد السياقي عددا من الانجازات على مستوى نقد الفنون الجميلة، منها:

قدموا قدر كبير من المعلومات عن الفن.

النقد الانطباعي

الناقد الانطباعي يحاول ان يرصد تأثير العمل الفني في نفسه، ومستوى وطبيعة اللذة التي تتحقق من خلاله. وهنا ندرك بأن هذا الناقد حر فيما يقول ولا يلتزم بمعايير محددة. بذلك قد يكون نقده معمقا او سطحيا، موسعا او مختزلا، وكل ذلك مرجعه الى تأثير العمل الفني فيه

النقد والتحليل النفسي

يراد من هذا النوع من النقد هو البحث والتحليل تحت السطح الظاهر وخلف الرسالة الواضحة والسهلة القراءة. ومن اشهر المنظرين لهذا المنهج هو (سيجموند فرويد) الذي اعتبر ان الفنان هو شخص (عصابي) يحمي نفسه عبر الانتاج الفني الذي يقوم به، باعتبار انه انسان حالم يخلق عوالم جديدة عن طريق احلامه الخاصة. وبهذه الطريقة يمكن القول ان الفن عالم كبير من الاسرار غير المعلنة، لأنها تمثل افكار الانسان غير الواعية، ومن هذا المفهوم انطلق عدد من النقاد في البحث عن الرموز ودلالاتها التي نفذها الفنان عبر تاريخ الفن.

النقد الاجتماعي

يؤكد النقاد الاجتماعيون ان الوضع الطبقي للفنان يحتم عليه ان يحمل افكار تلك الطبقة التي ينتمي اليها ويعبر عن همومها ومواقفها، بمعنى ان يعبر عن طبيعتها

الفكرية. فيكون بذلك مرآة تعكس ما تملكه طبقته من مواقف وافكار. لذلك يقولون بإمكانية تفسير الفن والاعمال الفنية عن طريق المجتمعات التي تنتجها وتتلقاها وتستهلكها. وهذه الفكرة نحو نقد الفن من وجهة تحليل اجتماعية، قد عرفت عصرها الذهبي في فرنسا في بداية القرن التاسع عشر. غير ان الشخص الذي منح هذه النظرية النقدية بعدها المنهجي وعمقها الفكري هو (كارل ماركس)، حيث اصبحت على يده نظرية متكاملة ورؤية فلسفية للفن والادب والتطور الاجتماعي. كذلك قدم الفيلسوف الالماني (هيجل) اسهامات كبيرة في نضج ووضوح هذه النظرية النقدية. وعموما تنطلق فكرة المنهج او النقد الاجتماعي من اعتبار الفن ظاهرة اجتماعية، وان الفنان لا ينتج فنا لنفسه، وانما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالرسم.

وتكون مهمة الفنان هي اختراق البنية التحتية وكشف ما تحتويه من صراعات وليس مجرد سرد الواقع وتوثيقه. بل يجب ان يمتلك معرفة به بقصد تغييره. وهنا يكمن الابداع الفني حسب اصحاب هذه النظرية. والناقد الاجتماعي عندما يقوم بتحليل الاعمال الفنية فأنه يقوم بعملية بحث وابتكار لأنها ستساهم في اغناء وتقدم الوعي بالظاهرة الاجتماعية المنعكسة في الفن.

النقد الفلسفي

عندما يقدم اي مفكر رأي نقدي تجاه الفن عامة، او تجاه عمل فني محدد، فلابد له من طريق يستخدمه للتعبير عن ذلك الرأي، لكي يحدث اقناعا وتفهما له عند المتلقي. وهذا الطريق يسمى المنهج النقدي، الذي نوهنا عن ضرورة كونه محدد وواضح ومتسلسل لكي يصل للآخر بيسر وسهولة. وما دامت الفلسفة هي اطار عام للآراء والافكار التي قدمها الفلاسفة على مر التاريخ، وان علم الجمال هو جزء من الفلسفة، لذلك نقول عنه جزء من كل ويتأسس في داخل الفلسفة.

وما دام الفن والجمال (الجزء) هو مادة النقد الجمالي، وضرورة وجود منهج محدد للبحث فيه، فلا بد اذن ان يكون المنهج فلسفيا، او منهجا مبني على الفلسفة العامة، حتى يكون النقد اكثر تحديدا وانضباطا، ليبتعد الناقد عن مجرد طرح التصورات الذاتية ويتحصن ضد التخبط والخطأ. لذلك نقول بأن المنهج النقدي الذي يدرس الجزئيات، يحتاج الى ان يتأسس على الفلسفة لأنها تمثل الاطار العام الذي يحدد عمل الناقد، ومنه نستدل ان كل نقد جمالي هو في اساسه فلسفة تجاه الفن.

وقد درسنا سابقا بأن تقسيم الفلسفة بشكل عام يذهب الى خمس مدارس فلسفية كبرى، هي على التوالي: المثالية، المادية، الوجودية، البرجماتية والوضعية المنطقية. وكل النقاد وعلى اختلاف آرائهم، لابد ان يندرجوا ضمن هذه الفلسفات الخمسة. لذلك فأن

الناقد عندما يقدم رأي نقدي تجاه الاعمال الفنية، لابد ان يكون تحت مظلة احدها. سواء تبنى وجهة نظر فيلسوف محدد، او ان يعتمد اساسيات الفلسفة بشكل عام. فنحن نقول بأن الناقد الفلاني هو ناقد مثالي لأنه يعتمد منطلقات الفلسفة المثالية فيما يطرح من رأي نقدي. ولكونه يتبنى المنهج الفلسفي المثالي شرطا للتحليل، او ان يكون ناقدا مثاليا يتبع رأي (افلاطون) مثلا، لأن الناقد مقتنع ومؤمن بوجهة نظر ذلك الفيلسوف. وهكذا الامر مع بقية الفسلفات الاخرى والفلاسفة فيها.

وخلاصة القول ان للمدارس الفلسفية الخمسة منهج فلسفي محدد لكل منها، يعتمد الناقد في نقده للفن احد هذه المناهج. او ان يكون اكثر تخصصا فيأخذ برأي فيلسوف معين. وذلك ما سوف يتوضح بعد طرح المناهج العامة للفلسفات الخمس الكبرى المار ذكرها.

أ. النقد الفني وفق الفلسفة المثالية

ينطلق الناقد الفني الذي يتبنى الفكر المثالي من اعتبار وجود حقيقة جمالية ابعد من مجرد الظاهر او المرئي في العمل الفني. وهي ما تعرف بالمُثل المطلقة، التي تكون غير قابلة للقياس لأنها مثل عليا. والفنان يستقي منها ويرسم اعماله الفنية. والناقد عند ادراكه هذه المعادلة، سيبحث في العمل الفني عن مثل هذه المثل العليا ويحاول ان يعرفنا بها. وحينها فأن الناقد سيكشف القيم الجمالية التي تحوز عليها الاعمال الفنية. ونحن كمتلقين يجب ان ندرك ان الجمال ليس في الظاهري والمباشر، وانما يكون مستترا خلف ذلك المرئي ويتم الشعور او الاحساس به، من خلال الاستجابة والتذوق للمفردات التي تدلنا عليه.

ب. النقد الفني وفق الفلسفة المادية

حسب المنهج المادي في تعريف الفن، يكون الفن تعبيرا عن المجتمع وعن روحه الداخلية، فهو فن للمجتمع منه وفيه، وينعكس عنه حتى في المحاكاة المباشرة للمرئي التي تشير الى ميول الفنان الواقعية المتحدة مع مشاهداته الحياتية. ويكون الفن لذلك هو وعي الفنان بالمجتمع نفسه، وليس فقط الآثار الجانبية او السطحية. ومادام الفنانون اعضاء في بنية المجتمع، فيجب عليهم ان يدركوا قضايا مجتمعاتهم وصراع الطبقات، وان يكون الفن نابعا عن ذلك الوعي.

ت. النقد الفني وفق الفلسفة الوجودية

فيما يتعلق بالمنهج الوجودي الذي يؤسس فيه النقد الفني، يرى النقاد بأن العمل الفني ما هو الا موضوع حسي يقصد من وراءه موضوعا جماليا متخيلا، اي ان المحسوس يقود الى تحريك الخيال حتى يهتدي الى المعنى الجمالي. وعلى الناقد ادراك هذه الآلية ويأخذ بتحليل اجزاء ومكونات العمل الفني وصولا الى حقيقة ذلك الانشاء الفني، ويدرك الغاية الجمالية التي من اجلها اجتمعت العناصر الفنية في وحدة عامة هي اللوحة الفنية. فيكون الموضوع الجمالي هو غاية الناقد وليس البحث عن المثل العليا كما عند المثاليين، وليس وعي الصراع الاجتماعي كما عند الماديين. لذلك فالناقد الجمالي حسب الفلسفة الوجودية، هو باحث في المرئي عن المتخيل، وكلما كشفه بصورة اوضح زادت القيمة الجمالية للأعمال الفنية.

ث. النقد الفني وفق الفلسفة البرجماتية

يعتقد الفلاسفة البرجماتيون بأن الفن نتيجة تجربة وخبرة. ولذلك يكون الناقد البرجماتي مسؤولا عن اعادة تربية الذوق والتجربة الجمالية في داخلنا كمتلقين. من خلال ادخالنا في صميم العملية الفنية التي اجتازها الفنان وقدمها لنا. عبر التحليل والتركيب وهو ينتج عمله الفني، والناقد يتتبع هذه الآلية ويكشفها لنا. وهنا تكون خبرة الناقد التي يجب ان ينفرد بها. بمعنى ان ميزة الناقد البرجماتي الاساسية انه يشارك في تقديم العملية الفنية والجمالية او يسهم في ترقيتها. ويكون ضعيفا نقديا اذا لم يحقق ذلك الهدف.

التذوق الجمالي والنقد الفني

في هذه المحاضرة يجب ان نفهم جملة من الحقائق المتعلقة بالفن التشكيلي، منها بأنه لا يوجد مستويات للفن، بل هناك فن او لا فن. وان المتلقي يلتقي بالعمل الفني كما يلتقي بشخص غريب لم يعرفه من قبل. وان الفن موجه للناس، سواء في الماضي او في الحاضر وكذلك في المستقبل. وان الفن يتغير نحو الكثرة والثراء، عكس العلم الذي يتطور نحو الاكثر صحة وصوابا. وان الفنان لا يتحرك الا عندما يكون هنالك شيء يريد التعبير عنه، بدليل وجود العمل الفني. وان الفنان انسان يتمتع بالموهبة والذكاء في نفس الوقت. وان موضوع العمل الفني هو ما نشعر به من احاسيس عندما نتطلع اليه.

وعبر هذه المقدمة يمكننا الدخول الى دور المتلقي، كمتذوق للأعمال الفنية. بمعرفة ان دور المستمتع مرتبط دائما بعمل الفنان وليس العكس. كما ان واجبات المستمتع لا تقل اهمية عن واجبات الفنان. ونحن جميعنا قد فطرنا على الاستجابة للعمل الفني، غير انه يعوزنا ان نتدرب على الكيفية. ومن ثم فأن عملية التذوق الفني هي عملية

اتصال او ملائمة بين طرفين هما الفنان متمثلا بأعماله الفنية، والطرف الاخر هو المستمتع الذي ينظر الى هذه الاعمال ويحاول الاستمتاع بها. وبذلك نفهم ان عملية التذوق الفني ذات مسؤولية مزدوجة، جانب من هذه المسؤولية يقع على الفنان والجانب الاخر يقع على المستمتع. ومثال ذلك كمثل شخصان يشتركان في الحديث، فعندما يتحدث الاول يجب على الثاني ان ينصت له، مثلما على المتحدث ان يتكلم بلغة سهلة ويسيرة حتى يدركها الآخر. بذلك نستدل ان عملية التذوق الفني لا تأتي على مستوى واحد، بل تتم على عدة مستويات. فاذا كان الوعي بمستوى مرتفع، تمت عملية التذوق على نفس الصورة والعكس صحيح. لذلك يجب على الفنان وعلى المتلقي معرفة دوره وتحمل المسؤولية.

ويمكن اعتبار ان التذوق الجمالي هو استجابتنا لمفاصل العمل الفني، بمعنى انه ممارسة للتجربة الجمالية والشعور بها، وليس مجرد التفكير في هذه العملية، وهناك فرق طبعا بين التفكير بالشيء، وبين ممارسته فعليا. وعملية التذوق الفني هي عملية منزهة عن المنفعة، بمعنى انها لا تعود بنتيجة حسية على المتلقي، على عكس التجربة العلمية، التي تقدم فائدة ملموسة على مستوى النفع.

وقد نوه جملة من المنظرين سابقا الى ان التذوق الفني متعلق بلحظة معينة فقط، يكون فيها شعورنا بلذة العمل الفني واضحا. وهو ما تم معارضته لاحقا، باعتبار ان التذوق الفني سلسلة اجرائية في قراءة العمل الفني. ليس فقط على مستوى الفنون التي تستهلك زمنا، مثل المسرحية والموسيقى والفيلم، بل كذلك على مستوى الفنون التشكيلية، مثل الرسم والنحت، فهي الاخرى تحتاج الى استهلاك زمني، لكن قد لا يكون بذات الوقت الذي تحتاجه الفنون الجميلة الاخرى. ويدرك ذلك من خلال معرفة ان تذوق العمل الفني يشترط التسلسل والتتابع، وليس العشوائية والتخبط، فلابد من وجود نقطة بداية للقراءة وصولا الى نقطة خاتمة، وما بينهما يتم ادراك تفاصيل وصياغة العمل الفني، فيحدث التذوق الجمالي له. فالانتظام شرط من شروط فهم صحيح ومستوى تذوق مرتفع للمادة المشاهدة. وما دامت التجارب الفنية تسير على مستوى التذوق على مفهوم قبل وبعد، فأن ذلك يدلل على اهمية ان نعطي للمشاهدة والقراءة الفنية الفرصة الكافية، ومن خلال اطالة مدة التمعن والتحليل لها، حتى يتسنى لمفردات العمل التمثل بوضوح في عقولنا، ولتصلنا اكثر مفردات الرسالة التي يحملها العمل الفني. وعلى هذا يجب ان يكون المشاهد حاضرا بكامل وعيه للوحة التي يشاهدها، ولا يكون منشغلا بشيء آخر في فترة المشاهدة. وهذه العملية بالطبع تحتاج الى خبرة وتدريب مستمر حتى تنضج ويصبح المتلقي مؤهلا للاستمتاع الجمالي في مستويات مرتفعة.

وهناك عدد من العوامل المساعدة للمتلقي حتى تكون تجربته في تذوق العمل الفني جماليا في مستوى افضل. منها:

1. ادراك الموضوع الذي يتناوله العمل الفني.
2. ادراك الخامات المستخدمة في العمل الفني.
3. الحجم الذي يخرج عليه العمل الفني.
4. الزمن الذي يستغرقه الفنان في انجاز العمل الفني.
5. العصر الذي يوجد فيه العمل الفني.

واذا عرفنا ان تذوقنا الجمالي سيزداد او ترتفع درجته مع القراءة الصحيحة، يظهر دور الناقد في هذه الجزئية، باعتبار انه يفهم النتاجات الفنية ويستطيع ان يرشد المتلقي نحو القراءة الصحيحة من خلال كشف ما تخفيه وما يغفل المشاهد البسيط عن التنبه له. وبالمجمل يمكن تحديد مهام وفروقات الناقد عن المشاهد في عملية التذوق الجمالي بالآتي:

1. النقد الفني هو مجال النقاد بينما التذوق هو مجال المشاهد او الجمهور.
2. وظيفة النقد هي التفسير والتقدير، بينما وظيفة التذوق هو اتصال المشاهد بالفنان عن طريق التأمل والاستمتاع بالعمل الفني بقصد الاستمتاع.
3. النقد يقوم بوصف التأثير الذي يحدثه العمل الفني بالمشاهد بينما المشاهد هو الذي يتأثر بالعمل الفني.
4. النقد الفني يفترض او يعتبر مقدمة لعملية التذوق الفني اي ان التذوق يأتي بعد انتهاء الناقد من العمل الفني مباشرة.
5. النقد يعمل على ايجاد المعرفة التي يفترض الفنان وجودها بالمشاهد لتذوق عمله الفني.
6. النقد الفني يقوم بصنع الجسور بين المجتمع والفنون.
7. عملية التذوق الفني تختص بالطبيعة الخاصة لكل مشاهد ومشاعره واحساساته بينما عملية النقد تختص بطبيعة العمل الفني نفسه.
8. ان عملية النقد تأتي على مستوى واحد من النقاد بينما عملية التذوق لا تتم على مستوى واحد من النجاح بل تأتي من عدة مستويات متفاوتة وذلك يعتمد على مستوى وعي وادراك كل مشاهد.

9. التذوق يدعونا الى الولاء للموضوع بحرية دون تساؤل، اي ان المشاهد يستسلم للعمل الفني، بينما النقد يلزم الناقد بأن يكون خاضعا لقواعد وقوانين معينة دون حرية شخصية.

10. التذوق الفني لا يعمل على تقطيع العمل الفني وانما يدركه في كليته، اما النقد فيقوم بتجزئة العمل الفني وادراك العلاقة بين الجزء والجزء الآخر، وعلاقة الجزء بالكل.

لغاية المدارس النقدية التي سبق طرحها، توضح بأن الفنان يأخذ الحيز الواسع في عملية النقد، ويدخل بكل مصاحباته: الاجتماعية والنفسية وغيرها. وهذا التوجه في تاريخ النقد ظل صامدا لفترة طويلة من الزمن، حتى تم التحول عنه في مرحلة الحداثة، نحو الاهتمام بشكل مباشر في العمل الفني وليس بالفنان. وسنقدم لذلك جملة من المدارس النقدية الحديثة التي اهتمت بهذه السمة النقدية.

النقد الشكلي

تيار مستحدث في النقد، قدمه مجموعة من المفكرين الروس في القرن التاسع عشر منهم (بوريس ايخنباوم) و(ميخائيل خراباتشنكو) و(ميخائيل اوفسيانيكوف) و(رومان ياكوبسون) وغيرهم. وهذا التيار النقدي الذي كان بداية في فن الادب، لما يتضمنه من بعد شكلي لتنظيم العناصر الشكلية (اللغوية _ الكتابية). وهم بذلك قد تنبؤا بأن مستقبل النقد يتجه نحو الشكل والعمل الفني، وليس للفنان الذي ينتجه. وبذلك فقد اغفلوا حياة الفنان وبيئته على وفق اتجاهات النقد السابقة. باعتبار ان النقد يجب ان يهتم بنتاج الفنان (اعماله) وليس بالفنان نفسه، وعليه فهم قطعوا صلة العمل بالفنان، واخذوا بتحليله بمعزل عن المؤثرات الخارجية.

يرتكز النقد الشكلي على اعتبار العمل الفني (اثرا) له خصائصه ومميزاته. ينتجه الفنان ويقطع صلته به، فلا طائل من محاولة التعرف على الفنان مادام العمل معروضا للجميع. واخذوا في البحث والتحليل في شكل العمل الفني وطريقة انتظام العناصر ونظامها الظاهري. وقد اكدوا ان ما يعطي للعمل الفني هويته المميزة هو شكله وليس معناه. وان القيمة الجمالية للأعمال الفنية تكون مستقلة عن المضمون. وقد اكدوا ان العمل الفني هو بنية (محايثة) تملك معناها في داخلها وليس في شيء خارج العمل الفني. وتقع تحديدا في البنية السطحية او الشكلية وليست في البنية العميقة، باعتبار ان العديد من التجارب الفنية تشترك في المضمون وتختلف في كيفيات صياغته ظاهريا. بمعنى ان اي عمل فني ما هو الا تجمع عناصر في نظام

مستقل له تعبير وجمال ناشئ عن ذلك التجمع. وبمثل هذا الطرح فقد ازالوا عن النقد الفني قيود متعددة مع العلوم الانسانية (علم الاجتماع، علم النفس، علم التاريخ ....الخ)، وتركوا مجال النقد في مستوى اكثر تحديدا وتخصصا. وهم بذلك يدرسون الاعمال من حيث ما يميزها كفن وما يجعل الشيء عملا فنيا. فكثير من النتاجات الفنية المعاصرة، يختلط فيها الامر على المتلقي، من كونها مجرد عبث او ادعاء فن، عن كونها فنا له اسناد فعلي داخل حقل الفن. وهنا يظهر دور الناقد الشكلي في كشف هذا الالتباس.

والنقاد الشكلانيين لا ينكرون قيمة المضمون، بل يعتبرون ان له ميدان دراسة بعيد عن توجههم، فهم ينادون بدراسة البنية السطحية، والمضمون يقع في البنى العميقة، التي كانت تلقى اهتمام النقد فيما سبق النقد الشكلي.

وقد تعامل النقاد الشكلانيون مع مفردات محددة في بحثهم النقدي للأعمال الفنية. منها:

أ. الشكل: بمعنى كيف ظهرت الاعمال الفنية لعين المشاهد، وكيف تجمعت العناصر وكيف توضحت شكليا ضمن نطاق العمل الفني.

ب. الواسطة: وهنا تنبهوا الى المادة المحسوسة التي قام الشكل من خلالها، باعتبار ان الشكل ممكن التجلي عبر عدد من الوسائط. والتلاعب فيها او تغييرها يكشف طبيعة العمل الفني التي تميزه،

ج. الوظيفة: في الوظيفة يبحث الناقد الشكلي عن دور الجزئيات الشكلية ووظيفتها في تحديد نظام الشكل الكلي، فكل جزء من العمل الفني يقوم بوظيفة معينة، وليس بالضرورة ان تتساوى الاجزاء وظيفيا، كما ان الوظائف تتفاوت لذات الاشكال من عمل فني لآخر، وهنا يتضح دور الناقد في كشف تلك الوظائف والتعريف عنها.

وفي الشكل والواسطة والوظيفة، قدم النقد الشكلي مجموعة مفاهيم او مفردات يتم البحث فيها ومناقشتها، بقصد معرفة مميزات العمل الفني. ومنها:

1. التغريب: ويقصد به عكس المألوف او المتداول. فالبحث قائم على ايجاد التغريب ومعرفة درجته على مستوى الشكل او الواسطة او الوظيفة، والعمل الفني يكون في درجة جمالية اوضح عندما يقدم تغريبا اعلى ويكسر توقع المشاهدين.

2. الحبكة: ويقصد بها كيفية نسج العناصر الشكلية وجمعها معا في وحدة العمل الفني، وهي تختلف عن القصة او الحكاية (المضمون) باعتبار ان المضمون عام، مثل الحرب او السلام او غير ذلك، فقد يشترك جملة من الفنانين في مضمون واحد،

غير ان ما يميزهم عن بعض هو كيفية صياغة ذلك المضمون في عناصر شكلية، تدعى هذه العملية بالحبكة.

3. المحفز: وهو اصغر العناصر البنائية التي تتألف منها الحبكة ويقوم على نظام الشكل. فليست كل حبكة تملك مستوى من الاثارة. مالم تحتوي عناصر محفزة واضحة تثير الفنان ومن بعده المتلقي في نظام بناء شكل اللوحة الفنية.

4. العنصر المهيمن: وهو ما يشكل نقطة الجذب الرئيسية في العمل الفني، كلون ما، او شكل محدد او غير ذلك. ونراه يهيمن او يتصدر بقية مفردات اللوحة. والناقد الشكلي يبحث عن المهيمنات الشكلية في الاعمال الفنية، حتى يحدد اسلوب الفنان وما يميزه عن غيره.